المـملكة العربية السـعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة حائل
كلية التربية / قسم الثقافة الإسلامية

تأملات وَعِبَرٌ فِي قَصَصِ
إِحْيَاءِ المَوْتَى فِي سُورَةِ البَقَرَةِ

إعداد الدكتور
خلف بن حمود بن سالم الشغدلي
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية
كلية التربية جامعة حائل

العام الجامعي
١٤٣٣/١٤٣٢هـ

ملخص البحث:

يدور هذا البحث حول القصص الخمس لإحياء الموتى في سورة البقرة، وهذه القصص الخمس اشتملت على آيات عظيمة، ومعجزات باهرة تدل على عِظم الخالق جل وعلا، وأن إعادة الخَلق أهون عليه، ويبدأ البحث بالحديث عن مفهوم القصص القرآني وخصائصه ومقاصده، ثم تعريف بسورة البقرة، وبيان لمقاصدها، ثم يتناول البحث االقصص الخمس لإحياء الموتى وبعض الفوائد والعبر منها، وهي كالتالي:

القصة الأولى : صعق الأحياء ثم بعثهم بمشاهدة إخوانهم

القصة الثانية : معاينة إحياء الميت بضربه ببعض ميت

القصة الثالثة : الذين خرجوا من ديارهم خوفا من الوباء والموت فأماتهم الله ثم أحياهم.

القصة الرابعة : معاينة الموت والبعث للبلاد والعباد

القصة الخامسة : معاينة إبراهيم ﷺ لإحياء الموتى ممثلاً في طيور مختلطة الأجزاء

ثم الخاتمة بها أهم نتائج البحث.

الكلمات الدالة:

تأملات-عبر-قصص-إحياء الموتى-سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، ﷺ .

ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[1]، ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ[2]، ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ[3] [4] .

أما بعـــد :

فإن من أعظم النِّعَم على هذه الأمة أن اختصها الله تعالى بهذا الكتاب العظيم فهو القرآن المجيد، والذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ففيه الهداية والنور والعز والشرف لهذه الأمة قال تعالى : ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ[5] فهو بحق المعجزة الخالدة، والآية الباهرة، والحجة القاهرة، وآية نبينا محمد ﷺ الظاهرة، فهو النبأ العظيم، الذي أعجز الله تَعَالَى الثقلين عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وهو الفرقان الذي أنزله تَعَالَى علي عبده ورسوله محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيراً، فلهذا كان القرآن كتاب الهداية وفيه النور المبين، ولهذا أصبح مهيمناً على كل كتاب، قال تعالى : ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ[6]، وقال تَعَالَى : ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ[7]، وقال تَعَالَى : ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ

١- آل عمران : ١٠٢.

٢- النساء : ١.

٣- الأحزاب : ٧٠-٧١ .

٤- تسمي هذه المقدمة (خطبة الحاجة) وقد كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه أن يجعلوها بين يدي كلامهم، سواء كان ذلك في خطبة نكاح أو جمعة أو غيرها، رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بإسناد صحيح، وأحمد في مسنده ١/ ٣٩١، والنسائي في سننه، كتاب النكاح، باب ما يستحب في الكلام عند النكاح ٦/ ٨٩ ، وأبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب خطبة الحاجة ٢/ ٥٩١ (٢١١٨)، والترمذي في جامعه، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح ٣/ ٤١٣ (١١٠٥)، وابن ماجة في سننه، كتاب النكاح ١/ ٦٠٩ (١٨٩٢)ومن أحب أن يزداد فليراجع (خطبة الحاجة) للشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله.

٥- الأنبياء : ١٠.

٦- الإسراء : ٩.

٧- المائدة : ١٥ -١٦.

ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩﮪ ﮫ ﮬﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ(١) .

وأمر جل وعلا إلي تدبر آياته ومعانيه فقال عز وجل : ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ(٢)، وقال جل ذكره : ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮊ(٣)، فمن آمن به وتدبره وتبعه، فهو كما قال الحق تبارك وتَعَالَى : ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﮊ.(٤)

وقال تَعَالَى : ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﮊ.(٥)

نعوذ بالله العظيم من الإعراض عن ذكره الحكيم ووحيه القويم، فإن المعرض عنه كما قال عز وجل : ﮋ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ(٦)، وكذلك قال عز وجل : ﮋ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﮊ(٧)، ويكفي المعرض ذما أن شبّه بالحمار كما ورد وصفه في القرآن الكريم قال عز وجل : ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﮊ.(٨)

والبعث بعد الموت حق لا مرية فيه، وعقيدة جازمة ثابتة، والتشكيك فيها باب كُفر عظيم دخل منه الشيطانُ إلى قلوب كثير من الخَلق، فكفروا بالحق، ولذا شغل البعث بعد الموت العديد من الأمم السابقة واللاحقة بل أنكرها الكثير منهم، وقد عاينها بعض الخلق كما عاينها بعض الأنبياء.

ولما لها من أهمية نجد أن العلامة "الشنقيطي" ذكر أن براهين البعث بعد الموت في القرآن أربعة :

الأول : خلق السماوات والأرض كقوله : ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ(٩).

الثاني : خلق الإنسان أولاً.

الثالث : إحياء الأرض بعد موتها، كما جاء في قوله : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭜ ﮊ(١٠).

الرابع : إحياء الله بعض الموتى في دار الدنيا كما جاء في قوله تعالى : ﮋ

١- المائدة : ٤٨.

٢-ص : ٢٩.

٣- محمد : ٢٤.

٤- طه : ١٢٣.

٥- فصلت : ٤٤.

٦- طه : ٩٩.

٧- طه : ١٢٤.

٨- المدثر : ٥٠.

٩- الأحقاف : ٣٣.

١٠- فصلت: ٣٩.

ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﯓ ﯔ[1].

ولهذا عزمت على كتابة هذا البحث المختصر حول القصص الخمس لإحياء الموتى في سورة البقرة، وما جاء في بحثي هذا من خير فهو من توفيق الله عز وجل، وما حصل فيه من تقصير فهو من نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه براء، والله أسأل أن يوفقنا – والمسلمين إلى كل خير وهدى والحمد لله رب العالمين .

وجعلت خطة البحث – بعد المقدمة - على النحو الآتي : تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة..

التمهيد : التعريف بالقصص القرآني :

- **أولا : مفهوم القصص القرآني**
- **ثانيا : خصائص القصص القرآني**
- **ثالثا : مقاصد القصص القرآني**

المبحث الأول : التعريف بسورة البقرة

- **العنصر الأول : أسماء السورة.**
- **العنصر الثاني : نزول سورة البقرة .**
- **العنصر الثالث : فضل سورة البقرة .**
- **العنصر الرابع : ترتيب السورة في المصحف .**
- **العنصر الخامس : عدد آي سورة البقرة .**

المبحث الثاني : مقاصد سورة البقرة

- **المطلب الأول : التعريف بالمقاصد**
- **المطلب الثاني : بعض مقاصد سورة البقرة :**

المبحث الثالث : القصص الخمس لإحياء الموتى وبعض الفوائد والعبر منها

- **المطلب الأول : القصة الأولى : صعق الأحياء ثم بعثهم بمشاهدة إخوانهم**
- **المطلب الثاني : القصة الثانية : معاينة إحياء الميت بضربه ببعض ميت**
- **المطلب الثالث : القصة الثالثة : الذين خرجوا من ديارهم خوفا من الوباء والموت فأماتهم الله ثم أحياهم.**
- **المطلب الرابع : القصة الرابعة : معاينة الموت والبعث للبلاد والعباد**
- **المطلب الخامس : القصة الخامسة : معاينة إبراهيم ﷺ لإحياء الموتى ممثلاً في طيور مختلطة الأجزاء**

الخاتمة .

١- البقرة ٢٥٩، انظر : أضواء البيان ٢٠٣/٣، ٢٠٤. وانظر ما كتبه الدكتور "علي ناصر" حول ذلك في مجلة الجامعة الإسلامية العدد "٥٠، ٥١" ص٧٣- ٧٦ وذلك تحت مقال بعنوان "مسلك القرآن الكريم في إثبات البعث".

ثم فهرس المصادر والمراجع .

وأخيرا .. فهرس الموضوعات .

* * *

التمهيد

التعريف بالقصص القرآني

ويشمل النقاط الآتية :

أولا : مفهوم القصص القرآني :

١- تعريف (القصة) لغة :

جاء في لسان العرب [١] : القَصَّ فعل القاصّ إذا قَصَّ القَصَصْ، وقوله تعالى ﮋ ۓ ۓ ﯓ ﯓ ﯖ ﮊ [٢] أي : نبين لك أحسن البيان. ويقال : قَصَصْتُ الشيءَ، إذا تتبعت أثَرَه شيئاً بعد شيءٍ، ومنه قوله تعالي : ﮋ ﮨ ﮯ ﮮ ﮊ [٣] أي : اتبعي أثره. والجمع من قصة : قِصَص، وقصاص.

٢- تعريف (القصة) اصطلاحاً :

تعرف القصة في الاصطلاح بأنها : ((تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية، وإيراد مواقفهم وأعمالهم، وبخاصة مع رسل الله إليهم، مع إظهار آثار الدعوات إليهم، وذلك بأسلوب حسن جميل، مع التركيز علي مواطن العبرة والعظة)). [٤]

ثانيا : خصائص القصص القرآني :

ينفرد القصص القرآني بجملة من الخصائص الربانية التي جعلته يسمو عن غيره من القصص البشري المؤلَف . وهذه الخصائص هي :

١- ارتباطه بالوحي الإلهي :

قال تعالى : ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﮊ [٥]، وقال سبحانه : ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ.[٦]

٢- التزامه بالحق :

قال تعالى : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﮊ [٧]

وقال سبحانه : ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ.[٨]

٣- التزامه بالواقعية :

والقصص القرآن تعبير عن واقع الإنسانية، وتصوير صادق لغرائزها وملكاتها، ورغباتها ومقوماتها، وأحوالها المختلفة، يقرأه الناس ويسمعونه فكأنما يقرأون أطواء أنفسهم، ويسمعون همس ضمائرهم، ووسوسة خواطرهم، ومن هنا

١- لسان العرب : ٧٣/٧.

(٢) يوسف : من الآية ٣.

(٣) القصص : من الآية ١١

(٤) القصة في القرآن الكريم. د. مريم عبد القادر السباعي، ص ٣٠

٥- آل عمران : ٤٤.

(٦) يوسف : الآيتان ٢، ٣

(٧) آل عمران : من الآية ٦٢

(٨) الكهف : من الآية ١٣

فهم يعيشون فيه، ويحيون معه، وينتفعون به انتفاع الأرض بوابل السماء. [١]

والآيات في هذا الشأن كثيرة، أذكر منها : قولـه تعالي : ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ [٢] ، وقوله تعالي : ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ. [٣]

ثالثا : مقاصد القصص القرآني :

سيقت القصة في القرآن لتحقيق مقاصد سامية، منها :

<u>١- تثبيت العقيدة الصحيحة، ونفي الخرافات والأفكار القديمة :</u>

قال تعالي : ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ. [٤]

<u>٢- تثبيت قلب النبي ﷺ والمؤمنين به :</u>

قال تعالي : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ. [٥]

<u>٣- تأييد النبي ﷺ وتصديقه في دعوته :</u>

والقرآن ينص علي هذا المقصد نصاً في مقدمات بعض القصص أو في ذيولها.

جاء في سورة (آل عمران) في أثناء عرضه لقصة مريم : ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﮊ [٦]، وجاء في (سورة هود) بعد قصة نوح : ﮋ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ. [٧]

* * *

---

(١) قصص القرآن من آدم ﷺ إلي أصحاب الفيل، د/ محمد بكر إسماعيل، ص ٩ بتصرف.

(٢) الشمس : الآيات ٧ : ١٠

(٣) النساء : من الآية ٢٨ .

(٤) النحل : ٣٦.

(٥) هود : ١٢٠.

(٦) آل عمران : ٤٤

(٧) هود : ٤٩ .

المبحث الأول

التعريف بسورة البقرة

يتضمن هذا التمهيد خمسة عناصر، وذلك على النحو التالي .

العنصر الأول

أسماء السورة

أسماء السور المثبتة في المصاحف هي - على الأرجح - توقيفية؛ وفي ذلك يورد السيوطي (١) أنه قد " ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار"(٢) بل إن الدكتور/ فضل عباس (٣) ليذهب إلى أنه من المستبعد عقلاً أن لا يكون لكل سورة اسم خاص تعرف به في عهد النبي ﷺ (٤).

والمختار عندي أن ترتيب السور في المصحف الذي أجمع عليه الصحابةُ - رضي الله عنهم – توقيفي، لا مجالَ للرأي فيه ، وذلك لحديث "أوس بن أبي أوس الثقفي"، وفيه قول رسول الله ﷺ : ((إنه طَرَأَ على حِزْبِي من الْقُرْآنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَخْرُجَ حتى أُتِمَّهُ قال أَوْسٌ فَسَأَلْتُ أَصْحَابَ رسول اللَّهِ ﷺ كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ قالوا ثَلَاثٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعٌ وَتِسْعٌ وَإِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ)). (٥)

وروى واثلة بن الأسقع (٦) أنَّ النبي ﷺ قال : ((أعطيت مكان التوراة السبع وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل))

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين : إمام حافظ مؤرخ أديب. من كتبه : "الإتقان في علوم القرآن"، و"الأشباه والنظائر"، و"الإكليل في استنباط التنزيل"، و"الألفية في مصطلح الحديث"، و"تاريخ الخلفاء"، و"تدريب الراويّ". (معجم الأعلام : ٣٠١/٣)

(٢) الإتقان في علوم القرآن : السيوطي، جلال الدين، (١١٥/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) هو الدكتور/ فضل حسن عباس، أحد أبرز علماء السنة في الأردن، وأحد العلماء المعدودين في علوم التفسير وعلوم اللغة والبلاغة، ولد سنة ١٩٣٢م في بلدة صفورية في فلسطين، وحصل على درجة الدكتوراه من الأزهر سنة ١٩٧٢م، وكانت رسالته بعنوان "اتجاهات التفسير في مصر والشام". في علوم القرآن الكريم. عمل مدرساً في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، ثم رئيسا لقسم أصول الدين بها، وبقي في الأردن يلقي الدروس المختلفة في بيته وفي الإذاعات لحين وفاته في ٩ شباط سنة ٢٠١١م، من مؤلفاته : القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته"، و"لطائف المنن وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن"، و"قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقض مطاعن ورد شبهات"، و"الكلمة القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية"، و"القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية"، و"فقهنا بين التوسط والتسلط" . نقلا عن : http://ar.wikipedia.org

(٤) إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل عباس، (٤٤٧/١)، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٥) رواه ابن ماجه : بَاب في كَمْ يُسْتَحَبُّ يُخْتَمُ الْقُرْآنُ، رقم ١٣٤٥.

(٦) هو واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل، الليثي الكناني : صحابي، من أهل الصفَّة. شهد "تبوك" مع النبي ﷺ، وقيل : خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، وهو آخر الصحابة موتا في دمشق.له ٧٦ حديثا. (معجم الأعلام : ١٠٧/٨)

[١]،

فذُكرتِ السُّوَر في هذين الحديثين على ما هي عليه في المصحف العثماني، قال ابن مَسْعُودٍ [٢] ﷺ : ((في بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ : إِنَّهُنَّ من الْعِتَاقِ الأوَلِ وَهُنَّ من تِلادِي)) [٣] ، فدل على أن ترتيب السُّوَر توقيفي، لا مجال للرأي فيه.

ويجدر التنويه إلى أن بعض الأسماء أشهر من بعض، وألصق بالسور من غيرها، فضلاً عن أن بعض الأسماء توقيفية، وبعضها اجتهادي وأشبه بالأوصاف والألقاب وما تتسم به بعض السور، مما أطلقه الصحابة الكرام، أو مَن بَعدهم على هذه السورة أو تلك، تنويها بفضلها، أو إبرازاً لجليل معانيها على قول البعض من أهل العلم.

وفيما يتعلق بسورة البقرة موضوع هذه الدراسة، فإن لها من الأسماء، سوى البقرة : سنام القرآن، و فسطاط القرآن، وهي مع سورة آل عمران الزهراوان، وفيما يأتي بيان لكل اسم وسبب التسمية به :

١ـ البقرة : سميت السورة بهذا الاسم لقصة البقرة الواردة فيها. وقد سماها بذلك رسول الله ﷺ كما سيأتي في الأحاديث.

٢ ـ الزهراء : ففي الصحيح عن أبي أمامة الباهلي [٤]ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ : ((اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ)) [٥].

وأصل الزهر : الحسن والضياء والصفاء، والزهرة : النجم المعروف، والأزهر : القمر، وزهرت النار : بمعنى أضاءت [٦]، والزهراوان : " النيّرتان، مأخوذ من الزهر والزهرة : فإما لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما، أي من معانيهما، وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة" [٧]،

(١) رواه البيهقي في السنن الصغرى : باب تخصيص السبع الطوال بالذكر، رقم ١٠٠٥.

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي : صحابي. من أكابرهم، فضلا وعقلا، وقربا من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين، وصاحب سره، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته. قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها عن نحو ستين عاما. له ٨٤٨ حديثا. (معجم الأعلام : ١٣٦/٤)

(٣) رواه البخاري : باب سُورَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الإسراء، رقم ٤٤٣١ .

(٤) هو : صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، أبو أمامة : صحابي. كان مع علي في (صفين) وسكن الشام، فتوفي في أرض حمص. وهو آخر من مات من الصحابة بالشام. له في الصحيحين ٢٥٠ حديثا. (معجم الأعلام : ٢٠٣/٣)

(٥) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين، رقم : (٨٠٤، ٨٠٥)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٦) معجم المقاييس في اللغة، ابن فارس (ص٤٦٢- ٤٦٣)، حققه شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، (٥/٤)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ -

والغيايتان والغمامتان : كل ما أظل الإنسان من فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما، والمراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين [١].

٣ ـ سنام القرآن : عن ابن مسعود [٢]،ﷺ، عن النبي ﷺ قال : ((إنَّ لكلِّ شيءٍ سناماً، وسنامُ القرآنِ سورةُ البقرةِ، وإنَّ الشيطانَ إذا سمعَ سورةَ البقرةِ تُقرأُ خرجَ منَ البيتِ الذي يُقرأُ فيهِ سورةُ البقرة)) [٣]، وسنام كل شيء أعلاه [٤]، وسورة البقرة سنام القرآن" إما لطولها واحتوائها على أحكام كثيرة، أو لما فيها من الأمر بالجهاد، وبه الرفعة الكبيرة" [٥].

٤ ـ فسطاط القرآن : كما كان يسميها خالد بن معدان [٦] " وذلك لعظمها ولما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها" [٧]، والفسطاط : البيت من الشَّعر [٨].

١٩٩٥م.

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، (٩٠/٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب(٣٢هـ)، أبو عبد الرحمن الهذلي الإمام الحبر فقيه الأمة، من السابقين الأولين، أول من جهر بالقرآن، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً وجميع الغزوات. [انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد، (٧٤/٣)، سير أعلام النبلاء والذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (٤٦١/١)، حقق بإشراف، شعيب الأرناؤوط وأكرم البوشي].

(٣) رواه الحاكم في كتاب فضائل القرآن، (٥٦١/١)، والبيهقي في شعب الإيمان(٤٥٢/٢)، رقم(٣٢٧٧)، وذكره الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣٥/٢)، حديث رقم(٥٨٨)، مكتبة المعارف، الرياض، د.ط، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٤) لسان العرب : ابن منظور الإفريقي،أبو الفضل جمال الدين بن محمد، مادة سنم(٣٠٦/١٢-٣٠٨)، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : المباركفوري، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن، (١٨١/٨)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

(٦) خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي(ت١٠٤هـ)، تابعي، ثقة، أصله من اليمن، وإقامته في حمص، تولى شرطة يزيد بن معاوية، [ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١٨٩/١٦-٢٠٥، الأعلام،٢٩٩/٢].

(٧) الإتقان في علوم القرآن السيوطي : ١١٩/١.

(٨) مختار الصحاح، الرازي، محمد ابن أبي بكر، ص٢٤٩ ، دار عمار، عمان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

العنصر الثاني
نزول سورة البقرة

الذي يظهر للباحث أن" ترتيب السور حسب النزول ليس دقيقاً في مجمله، ومن ثم ليس يقينياً ولا يمكن الجزم به، لعدم وجود أدلة صحيحة موثوقة يُعتمد عليها في ذلك، ويمكن أن نأخذ بعض الأقوال في الترتيب التاريخي من باب الاستئناس لا من باب الجزم واليقين" (١).

وعلى أية حال؛ فإن سورة البقرة بحسب النزول – على ما اشتهر- هي السورة السادسة والثمانون، وهي أول سورة نزلت بالمدينة النبوية، بعد الهجرة. وقد نزل قبلها في مكة خمس وثمانون سورة، كما ذكر الزركشي (٢) في كتاب البرهان (٣) وقال أبو عمرو الداني (٤)، بعدما أورد السور التي أنزلت بمكة : " فذلك ما أنزل عليه ﷺ بمكة، خمس وثمانون سورة ... وأنزل عليه بعدما قدم المدينة سورة البقرة، ثم آل عمران، ثم الأنفال..) (٥) وقد نقل السيوطي هذا القول، وقول من قال أنه قد نزل بعد البقرة سورة الأنفال ثم آل عمران (٦). وهو أولى بالصواب لأن الأنفال نزلت في غزوة بدر، وآل عمران تحدثت عن أُحد، وبدر قبل عام من أُحد.

وإذا كانت الروايات في عمومها تفيد أن سورة البقرة نزلت بعد الهجرة، فإن هناك حديثاً يستثني خواتيم سورة البقرة، ويؤكد أنها نزلت ليلة الإسراء والمعراج؛ أي في العهد المكي وفق المشهور من أقوال العلماء (٧).

حيث روى ابن مسعود ﷺ : ((لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنْ الأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، قَالَ فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاثًا أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ

---

(١) التفسير الموضوعي، بين النظرية والتطبيق، الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (ص٢٣٩)، دار النفائس، عمان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) هو بدر الدين أبو عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ) تركي الأصل، المصري المولد والوفاة، من العلماء الأصوليين على الفقه الشافعي. له(إعلام الساجد أحكام الساجد، والإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة، والديباج في توضيح المنهاج)، [انظر : شذرات الذهب ٣٣٥/٦، طبقات الداودي، ١٥٧/٢-١٥٨، الأعلام ٦/ ٦٠-٦١].

(٣) البرهان في علوم القرآن الزركشي،، (١/ ٢٥٠- ٢٥١).

(٤) هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمر الأموي القرطبي(٣٧١- ٤٤٤هـ)، والداني نسبة إلى دانية في الأندلس، كان إماماً في علم القراءات، والتفسير وإعراب القرآن وطرقه، وله معرفة بالحديث ورجاله، من تصانيفه : "جامع البيان " في القراءات السبع، و" المقنع في رسم الصاحف ونقطها"، و " الاهتدا في الوقف والابتدا".(ابن بشكوال : الصلة ٥٩٢/٢-٥٩٣، طبقات الداودي،٣٧٣/١-٣٧٦).

(٥) البيان في عَدِّ آي القرآن، الداني، أبو عمرو (ص ١٣٦)، تحقيق الدكتور غانم قدوري حمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(٦) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (٢٠/١).

(٧) السيرة النبوية الصحيحة. العمري، أكرم ضياء (١٨٨/١-١٨٩)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٥، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ)) (١).

والمختار عندي أن سورة البقرة هي أول ما نزل بعد الهجرة، واستمر نزولها حتى نهاية العهد المدني، حيث نزلت الآية (٢٨١) منها، والتي هي على الراجح آخر آية نزلت على النبي ﷺ، كما نزل قبيلها آيات الربا، فيما تقدمت خواتيم السورة سائرها، فنزلت قبيل الهجرة، لكن غالب آيات السورة قد نزل في بدايات الهجرة، والله أعلى وأعلم.

العنصر الثالث

فضل سورة البقرة

وردت عدة أحاديث وآثار، في فضل سورة البقرة، وخواتيمها وآية الكرسي، منها :

١- عن النواس بن سمعان (٢) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا)) (٣).

٢- وعن أبي بن كعب (٤)؛ أن النبي ﷺ قال : ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ : قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ قُلْتُ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ قَالَ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ)) (٥).

٣- وعن ابن عباس قال : ((بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ هَذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلا أُعْطِيتَهُ)) (٦).

٤- وعن أبي مسعود البدري (٧) : قال رسول الله ﷺ : ((الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ

---

(١) رواه مسلم : كتاب الإيمان، رقم ١٧٣ .

(٢) هو : النواس بن سمعان بن صعصعة العامري، له ولأبيه صحبة، سكن الشام [الإصابة ٤٧٨/٦، تهذيب التهذيب ٥٤٤/٤، أسد الغابة ٤٦٠/١-٤٦١].

(٣) رواه مسلم : كتاب صلاة المسافرين، رقم ٨٠٤، ٨٠٥ .

(٤) أبي بن كعب بن قيس الخزرجي الأنصاري،(ت٢٢هـ) من كتاب الوحي، شهد بدراً والمشاهد كلها، من اللجنة التي كلفها عثمان بنسخ القرآن [أسد الغابة٥٧/١-٥٨، الأعلام٨٢/١].

(٥) رواه مسلم : بَاب فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، رقم ٨١٠.

(٦) رواه مسلم : بَاب فَضْلِ الْفَاتِحَةِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَالْحَثِّ على قِرَاءَةِ الآيَتَيْنِ من آخِرِ الْبَقَرَةِ، رقم ٨٠٦.

(٧) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة، أبو مسعود الأنصاري البدري(ت٤٠هـ)، سكن بدراً، وشهد موقعتها كما قال البخاري، أقام في الكوفة، واستخلفه عليّ عليها لما سار إلى صفين.[أسد الغابة٣١٨/٧، فتح

سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)) [١].

٥- وعن عبد الله بن مسعود، قال ﷺ : ((إن لكل شيء سناماً وسنام القرآن سورة البقرة)) [٢].

6- وعن أبي هريرة [٣]ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ)) [٤].

٧- وروى كثير بن عباس [٥] عن أبيه ((أن الرسول ﷺ قال له عندما ولى المسلمون يوم حنين : يا عباس! ناد قل : يا أصحاب السمرة، يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ)) [٦].

٧- وعن عثمانَ بنِ أبي العاصِ [٧]، قال : ((استعملني رسولُ اللهِ ﷺ وأنا أصغرُ الستةِ الذينَ وفدوا عليهِ من ثقيفٍ وذلكَ أني كنتُ قرأتُ سورةَ البقرةَ فقلتُ يا رسولَ اللهِ إنّ القرآنَ ينفلتُ مني فوضعَ يدهُ على صدري وقالَ يا شيطانُ اخرجْ منْ صدرِ عثمانَ فما نسيتُ شيئاً أريدُ حفظَهُ)) [٨].

العنصر الرابع

ترتيب السورة في المصحف

البقرة هي السورة الثانية في المصحف العثماني، بعد الفاتحة وقبل آل عمران. وهذا الترتيب -على الراجح من أقوال العلماء - ليس باجتهاد الصحابة، رضوان الله عليهم، وإنما هو توقيفي بتوجيه الرسول ﷺ وحياً؛ وبالأخص في العرضة الأخيرة، ويكفي دليلاً على هذا القول أنه متواتر حفظاً وكتابة؛ تناقلته الأمة من لدن الرسول ﷺ وحتى يومنا هذا، وقد سبق الاختيار في ترتيب جميع السور أنه توقيفيّ.

حيث يقول الإمام البغوي [٩] إن " الصحابة - رضي الله عنهم - جمعوا بين

الباري ٩/٥٥].

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل : كتاب المغازي رقم : (٤٠٠٨)، وكتاب فضائل القرآن رقم : (٥٠٠٨، ٥٠٤٠، ٥٠٥١)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم(٨٠٧، ٨٠٨).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، (رقم ٥٨٨)، سبق تخريجه.

(٣) عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة (ت٥٩هـ)، أسلم سنة سبع للهجرة، لزم الرسول ﷺوكان من أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له، استعمله عمر على البحرين، وكانت وفاته بالمدينة.[أسد الغابة ٥/١١٩-١٢٠، الأعلام ٣/٣٠٨].

(٤) رواه مسلم : بَاب اسْتِحْبَابِ صَلَاةِ النَّافِلَةِ فِي بَيْتِهِ وَجَوَازِهَا فِي الْمَسْجِدِ، رقم ٧٨٠.

(٥) كثير بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم الرسولﷺ، ولد قبل وفاته بأشهر، كان فقيها فاضلاً.[أسد الغابة ابن الأثير، ٣/٥١٩].

(٦) صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، حديث رقم (١٧٧٥).

(٧) عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي،(ت ٥٥هـ)، أسلم في وفد ثقيف فاستعمله النبي على الطائف، وأقره أبو بكر وعمر، وحين همت ثقيف بالارتداد قال لهم : يا معشر ثقيف كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أولهم ارتداداً، له أحاديث في البخاري ومسلم.[أسد الغابة ٣/٢١٢-٢١٣، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٧٤- ٣٧٥].

(٨) المعجم الكبير للطبراني : عُثْمَانُ بن بِشْرٍ عن عُثْمَانَ بن أبي الْعَاصِ، رقم ٨٣٤٧.

(٩) أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي،(٤٣٦- ٥١٦هـ)، من خراسان، كان إماماً

الدفتين القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً. إنهم كتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف من جبريل - صلوات الله عليه – إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في السورة التي يذكر فيها كذا؛ فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة "(١).

العنصر الخامس
عدد آي سورة البقرة

قال أبو عمرو الداني(٢) : " وهي مئتا آية وثمانون وخمس آيات في المدنيَّيْن والمكي والشامي، وست في الكوفي، وسبع في البصري، وقد ذكر الداني أن الاختلاف وقع في إحدى عشرة آية :

" ألم " [١]؛ عدها الكوفي ولم يعدها الباقون.

" عذاب أليم " [١٠]؛عدها الشامي ولم يعدها الباقون.

" مصلحون" [١١]؛ لم يعدها الشامي وعدها الباقون.

" إلا خائفين " [١١٤]؛ عدها البصري ولم يعدها الباقون.

" يا أولي الألباب" [١٩٧]؛ لم يعدها المدني الأول والمكي، وعدها الباقون.

" من خلاق " [٢٠٠]؛ الثاني لم يعدها المدني الأخير، وعدها الباقون. تراجع في الكتاب وغيره.

" ماذا ينفقون " [٢١٩]؛ الثاني عدها المدني الأول والمكي، ولم يعدها الباقون.

" لعلكم تتفكرون " [٢١٩]؛ الأول عدها المدني الأخير والكوفي والشامي، ولم يعدها الباقون.

" قولاً معروفاً " [٢٣٥]؛ عدها البصري ولم يعدها الباقون.

" الحي القيوم " [٢٥٥]؛ عدها المدني الأخير والمكي والبصري، ولم يعدها الباقون.

" من الظلمات إلى النور " [٢٥٧]؛ عدها المدني الأول ولم يعدها الباقون.

ويجدر التنويه إلى أن الخلاف في العدّ ليس زيادة أو نقصاً في نصوص الآيات؛ فإن من أسبابه الخلاف في احتساب البسملة آية أو عدم احتسابها، وكذا الخلاف في الحروف المقطعة في السور أيها آية وأيها بعض آية، كما أنه قد تقسم آية طويلة إلى آيتين، أو تُدمج آيتان قصيرتان وتحسبان آية، حيث كان الرسول ﷺ يقف غالباً

في الفقه والتفسير والحديث، له : معالم التنزيل، في التفسير، والتهذيب في الفقه، والجمع بين الصحيحين.[انظر : ، طبقات السيوطي، ص : ٤٩-٥٠، طبقات الأدنروي، ص : ١٥٨-١٦٠].

(١) شرح السنة، البغوي، الحسين بن مسعود، (٥٢١/٤-٥٢٣)، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٢) البيان في عد آي القرآن،الداني، أبو عمرو، (ص ١٤٠).

على رؤوس الآي، لكنه ربما وقف قبل نهاية الآية فيظن الصحابي أن موضع وقوفه ﷺ رأس آية.

***

المبحث الثاني

مقاصد سورة البقرة

عِلْمُ مقاصد السور علم شريف، لأنه يجلي الموضوعات العامة والقواعد المهمة التي تركز عليها السورة، ولا أحد يدعي أنه أحاط بها علماً، ولكن الدلالة على بعضها تدل على عظم شأن هذا الكتاب المجيد وتُحبِّبه إلى النفوس، وتدرب قارئه على تدبره، وفي نور الذكر الحكيم وهدي نبينا الكريم ﷺ نتعايش مع مقاصد سورة البقرة، وسنحاول – بتوفيق من الله تعالى – أن نرصد النظرة القرآنية – علي قدر المستطاع من خلال هذا البحث المتواضع .

المطلب الأول

التعريف بالمقاصد

<u>أولاً : تعريف المقاصد لغة :</u>

المقاصد لغة : أصلها من الفعل الثلاثي (ق ص د) يقصد قصداً، والمقصِد من قصد ، قصدته وقصدا مقصداً هو مصدر ميمي، واسم المكان منه وهو على وزن (مَفعِل) وهذا الوزن يستعمل حقيقة في الزمان والمكان والمصدر، فيكون لفظ (المقصِد) إما في المصدر وهو القصد، أو في المكان المقصود فيه أو في زمان القصد أو في الغاية المقصودة مثل (مقصدي من فعل كذا مساعدته). وجمعه مقاصد، وقد جمّع بعض الفقهاء كلمة (قصد) على قصود، وهو على خلاف القياس عند النحاة كما صرح به الفيومي. والصواب هو أن جمع (القصد) موقوف على السماع وأما (المقصِد) فيجمع على (مقاصد) (١) ومن أجل فهم المعنى المراد من (المقاصد) لابد لنا من أن نبين معاني كلمة القَصْد كما وردت استعمالاته بها في لغة العرب،ومنها :

١ـ القصد : العدل والوسط بين الطرفين، جاء في القرآن ﴿ □ □ □ ﴾ (٢)، وكذلك في ﴿ ﭬ ﭭ ﴾ (٣)، وفي الحديث ((القصد القصد تبلغوا)) (٤) أي : عليكم بالتوسط في الأمور في القول والفعل. والقصْدُ في الشيء : خلاف الإفراط (٥).

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي الفيومي ، أحمد بن محمد المقري ، ، بيروت - لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط ١، ١٩٩٤ م ، ص٥٠٤، جماعة من كبار اللغويين ، المعجم العربي الأساسي ، بدون مكان النشر (ربما تونس كما في مقدمة المدير العام) ، لاروس ، بدون الطبعة ، ١٩٩٩ م ، ص ٩٨٩.

٢- لقمان : من الآية ١٩.

٣- فاطر : من الآية ٢٣

(٤) رواه البخاري ، مع فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، السعودية ، دار السلام ، ط ١ ، ١٩٩٧ م ، كتاب الرقاق ، برقم ٦٤٦١ ، ج ٧ ، ص ١٨٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ابن الأثير المبارك بن محمد ، تحقيق خليل مأمون شيحا ، بيروت – لبنان ، دار المعرفة ، ط ١ ، ٢٠٠١ م ، ج ٢ ، ص ٤٥٨ : ، لسان العرب ابن منظور ، تصحيح أمين عبدالوهاب و محمد الصادق ، بيروت – لبنان ، ط ٣ ، ١٩٩٩ م ، ج ١١ ، ص ١٨٠ .

٢ ـ الاعتماد والأمّ وطلب الشيء وإتيانه : كما جاء في الحديث ((فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة)) (١) يعني : طلبته بعينه وإليه وقصدك أي تجاهك، ونحا نحوه، وقد ورد في كلام الفقهاء على هذا المعنى مثل " المقاصد تغير أحكام التصرفات " و"المقاصد معتبرة في التصرفات" ويعنون به ما تغيّاه المكلف بباطنه، وسار تجاهه ونحا نحوه بحيث مثّل إرادته الباطنة (٢).

٣ ـ استقامة الطريق : قال الله تعالى : ﴿ ڤ ڤ ڦ ڦ ﴾ (٣) أي : على الله الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، والقصد من الطريق : المستقيم الذب لا اعوجاج فيه. (٤)

٤ ـ القرب : كما جاء في الآية ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ (٥)، أي : هينة السير !!

<u>ثانيا ً : تعريف المقاصد اصطلاحاً :</u>

اتَّضَحَ لي مِن جلّ تقريرات المعاصرين - في أبحاثهم المتعددة - على أن العلماء السابقين لم يحدّدوا تعريفاً مضبوطاً جامعاً مانعاً للمقاصد – مقاصد الشريعة - رغم استعمالها في مؤلفاتهم بكثرة . وفيما يلي تعريفات لبعض المعاصرين للمقاصد :

حيث عرفها محمد الطاهر بن عاشور (٦) بأنها : "المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة " (٧)، وعبّر عنها في مكان آخر بقوله " هي الأعمال والتصرفات المقصودة لذاتها، والتي تسعى النفوس إلى تحصيلها، بمساع شتى أو تحمل على السعي امتثالاً" (٨)

---

(١) رواه البخاري ، مع الفتح ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، برقم ٣٦٩٦ ، ٧ /٦٨ .

(٢) لسان العرب ، مرجع سابق ، ١٧٩/١١ ؛ المصباح المنير ، مرجع سابق ، ص ٥٠٤، الكيلاني ، عبدالرحمن إبراهيم ، قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي ، دمشق-سوريا ، دار الفكر ، ط ١، ٢٠٠٠ م ، ص٤٤ .

٣- النحل : من الآية ٩.

(٤) لسان العرب ، مرجع سابق ، ١٧٩/١١ جامع البيان عن تأويل آي القرآن الطبري ، محمد بن جرير، بولاق-مصر ، دار المعرفة ، ط ١ ، ١٣٢٩ هـ ، ج ١٤ ، ٥٨ . ومعه غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، وينظر : تجديد المنهج في تقويم التراث. لعبد الرحمن طه.

٥- التوبة : من الآية ٤٢

(٦) هو محمد الطاهر بن عاشور ، الفقيه ، الأصولي ، المفسر ، من أعلام المسلمين المعاصر ، رئيس المفتين المالكيين بتونس ، وشيخ جامع الزيتونية ، عين عام ١٩٣٢ شيخاً للإسلام مالكياً وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق و القاهرة ، من مصنفاته : مقاصد الشريعة الإسلامية" ، "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام" ، و"التحرير والتنوير" ، توفي عام ١٩٧٣ م (الأعلام للزركلي) .

(٧) مقاصد الشريعة الإسلامية ، ابن عاشور، محمد الطاهر عاشور ، تونس ، الشركة التونيسية ، ١٩٧٨ م ، ص ٥١ ؛ ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تحقيق و دراسة محمد الطاهر الميساوي ، عمان-الأردن ، دار النفائس ، ط ٢ ، ٢٠٠١ م ، ص ٢٥١ .

(٨) مقاصد الشريعة لابن عاشور ، مرجع سابق ، ص ٤١٥ ، ط. دار النفائس.

كما عرفها "علال الفاسي" بقوله : "المراد بالمقاصد الشرعية بأنها الغاية منها ، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"(١).

وعرفها "محمّد الزحيلي" بأنها : " الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة ، وأثبتتها في الأحكام ، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان " (٢).

وعرفها "محمّد فتحي الدريني" بقوله : "وهي القسم الذي يكمن وراء الصيغ والنصوص ، ويستخدمها التشريع كليات وجزئيات " (٣)، وقال أيضاً : " المصلحة هي مقصود الشرع والمصلحة هي غاية الحكم ، فإذا كان الحكم في ذاته يمثل العدل في التشريع ..نرى العدل هو المصلحة الواقعية الحقيقية المعتبرة، فردية كانت أم عامة " (٤)

وبعد سرد التعريفات المتعددة للمقاصد، نجد أنها أمور متقاربة وليس فيها اختلاف جوهري.

---

(١) مقاصد الشريعة ومكارمها علال الفاسي د.م مكتبة الواحدة العربية والدار البيضاء د.ط د.ت ص ٣.

(٢) مقاصد الشريعة ..أساس لحقوق الإنسان محمد وهبة الزحيلي كتاب الأمة ، قطر ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، العدد ٨٧ ، ١٤٢٣ هـ ، ص ٧٠.

(٣) خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم الدريني محمد فتحي، بيروت-لبنان ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م ، ص ١٩٤ .

(٤) المناهج الأصولية في الإجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي الدريني محمد فتحي ، بيروت-لبنان ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ١٩٩٧ م ، ص ٤٤ .

المطلب الثاني

بعض مقاصد سورة البقرة

المقاصد في سور القرآن له دلالة عامة، والمراد به،تنظيم السورة،وتوجيه آياتها لتلتقي في مصب واحد،وبعبارة أخرى، مقاصد السورة، تعني استجماع،الدلالات الجزئية للمقاطع والآيات،لتكوين معنى عاماً مشتركاً، وبعبارة أقصر البحث عن المقاصد هو (افتراض وحدة كامنة في السورة يخفيها التعدد الظاهري).

وفيما يلي نعرض لبعض مقاصد سورة البقرة، لأن المجال لا يتسع لذكر جميع المقاصد، ومن هذه المقاصد.

أولا : الإخلاصُ والمتابعةُ في سورةِ البقرةِ .

قال الله عز وجل : ﴿ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ .(١)

إخلاص الدين لله وتجريد المتابعة فيه لرسول الله - ﷺ - قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام ومقصد شريف من مقاصده؛ لأن العمل المتقبل هو ما اجتمع فيه هذان الركنان؛ لقول الله عز وجل : ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ (٢) ومعلوم أن قبول الأعمال مرهون بتحقيق تقوى الله عز وجل : ﴿ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﴾ (٣) وبهاتين الجملتين ينتج أن المتقين هم أهل الإخلاص لله عز وجل والمتابعة لرسول الله ﷺ .

ثانيا : التوحيد في سورة البقرة :

سورة البقرة سورة مدنيّة، وقد امتازت السّور المدنيّة بتفصيل الأحكام التشريعية زيادة على المسائل العقدية، ولا بأس أن أشير هنا إلى فوائد عظيمة في سورة البقرة، وهي على النحو الآتي :

١- إنه لعِظَمِ شأن التوحيد – وهو أعظم حسنة عند الله عز وجل - بَدَأ الله به السورة، كما جعله أول صفات المتّقين، فقال : ﴿ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﴾ (٤).

٢- ولِعِظَمِ شأن التوحيد – وهو أعظم حسنة عند الله تعالى - فقد ختمت به كما بدئت، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﴾ (٥).

٣- إنه لعظم شأن التوحيد – وهو أعظم حسنة عند الله تعالى - كان أول أمر ورد في سورة البقرة بل في المصحف كلّه بحسب ترتيبه؛ قال الله عز وجل : ﴿ ﮛ

١- البقرة : ٢٨٥، ٢٨٦.

٢- الكهف : من الآية ١١٠.

٣- المائدة : من الآية ٢٧.

(٤) البقرة : ٢ – ٣.

(٥) البقرة : ٢٨٥ .

ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﯓ (١). (٢).

٤- ولِعِظَم شأن التوحيد فإن أوّل نهي ورد في سورة البقرة، بل في المصحف كلّه بحسب ترتيبه، هو النهي عن الشرك – وهو أعظم ذنب عُصي اللهُ تعالى به – والشرك مضاد للتوحيد ؛ قال عز وجل - : ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯓ (٣)

٥- ولعظم شأن التوحيد كانت أول قصّة في السّورة هي قصّة من نقض التوحيد بأشدّ نواقضه، ألا وهو كُفر الاستكبار، وهو كُفر إبليس (أعاذنا الله منه ومن ذريته)، الذي قال الله فيه : ﯓ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯓ (٤)

ولذلك فلا نشكّ أبداً أن أعظم المقاصد السابقة هي كون التوحيد من التقوى، لأنه الغاية التي من أجلها خلقنا، قال الله تعالى : ﯓ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﯓ (٥)

ثالثا : رفعة أهل التقوى :

قال الله عز وجل : ﯓ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﯓ (٦) السبب الذي من أجله بسطت الكلام على هذه السورة الكريمة من جهة المقصد الأول هو بيان أنها حين ابتدأت بذكر أوصاف المتقين وختمت بالدعاء بالنصر أن يعلم أن المستحقين للنصر هم أهل التقوى، وتخلل ذلك كلَّه تفصيل أحوال المتقين وتعريفٌ بطريقهم لتسلك على بصيرة، وَلمَّا كان ذلك كله في كتاب الله، فقد بدأ الله السورة بالتنويه بكتابه، فقال : ﯓ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﯓ فبالعلم بالكتاب الكريم يحصل للمسلم معرفة التقوى وأسبابها، ثم إن بين التقوى والقرآن تناسباً ظاهراً، وهو أن رفعة المؤمنين مرهونة بتقوى الله كما مرَّ، ومعلوم أن الله إنما يرفع المؤمنين على غيرهم بالقرآن (٧).

رابعا : شأن العلم من خلال سورة البقرة .

قال الله عز وجل : ﯓ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﯓ.(٨)

أول ما نزل من الوحي في العلم؛ وهو قول الله عز وجل : ﯓ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﯓ.(٩)

وأول كلمة استفتحت بها سورة البقرة في ذكر وعاء العلم، وهي قوله تعالى :

---

(١) سورة البقرة : ٢١

(٢) ينظَر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٤-٤١)، " والبرهان في توجيه المتشابه" للكرماني، ص ٦٨.

٣- البقرة : من الآية ٢٢.

٤- البقرة : ٣٤.

٥- الذاريات : ٥٦.

(٦) البقرة : ٢١٢.

(٧) التفسير الكبير ، للرازي (٢/ ٢٠) .

(٨) البقرة : ٣١، ٣٢.

(٩) العلق : ١ – ٥ .

ﮄ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘﭙ ﭚ ﭛ ﮄ.

وأول قصة فيها قصة في العلم، فلما كان العلم إماماً لكل شيء بدأ الله بالتنويه به في أول قصة، وهذا يفيد شرف العلم (١).

---

(١) " مفتاح دار السعادة " ابن القيم : (١/ ٥٢).

خامسا : أسباب النصر المجملة في السورة التي لا تستطيعها البطلة.

قال الله تعالى في مطلع سورة البقرة : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ٻٻ ٻٻ ٻ ٻ ٻ ﴾ (١)، وقال في خاتمتها حاكياً دعاء المؤمنين أنهم قالوا : ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾ (٢) مطلع السورة حديث عن المتقين وخاتمتها حديث عن النصر المبين، وبين التقوى والنصر كما بين السبب والمسبَّب، لأن المتقين هم أهل النصر، فكأنه قيل بتقوى الله تنصرون أيها المؤمنون! وهذا مقصد شريف ومعرفته ضرورية؛ لأن العدوان على أهل الحق واقع؛ فقد أخبرنا الله عز وجل في السورة نفسها بأن لنا أعداء لا يبرحون ساحة العدوان حتَّى نترك ديننا، فقال : ﴿ ک ک ک ک ک گ گ گ گ گگ ﴾ (٣) وبين في آية أخرى من السورة نفسها أن وصولهم إلى هذا الهدف الخبيث لا يرضيهم إلا بأن نتبع ملتهم بعد أن نترك ملتنا (٤).

سادسا : إصلاح الباطن والظاهر في سورة البقرة :

في سورة البقرة قرن الله عز وجل بين إصلاح الباطن وإصلاح الظاهر في ثلاثة مواضع بارزة، هي :

١- قال الله - عز وجل - فيها : ﴿ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ۆ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ﴾ (٥)

٢- قال الله تعالى فيها : ﴿ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤڤ ڤ ڤ ڦ ڄ ﴾ (٦)

٣- قال الله عز وجل فيها : ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ پ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڌ ﴾ (٧) فالآيتان الأوليان متقاربتان في المعنى، ولكنهما متقابلتان (٨).

سابعا : اقتران آيات الجهاد بتقوى الله :

قال الله عز وجل : ﴿ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گگ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ﴾ (٩).

وردت ألفاظ التقوى في سورة البقرة بصيغ : منها ما جاء بصيغة الأمر، ومنها ما جاء وصفاً لأهلها ومنها ما جاء تحريضاً عليها بالتزام تشريعاته سبحانه والاستقامة عليها، وكل ألفاظها قد مر، إلا أن هناك آية واحدة من آيات التقوى

١- البقرة : ١، ٢

٢- البقرة : ٢٨٦.

٣- البقرة : من الآية ٢١٧.

(٤) مقاصد سورة البقرة د/ عبد المالك بن أحمد رمضاني ٥/١ .

٥- البقرة : من الآية ١٨٩.

٦- البقرة : من الآية ١٩٧.

(٧) البقرة : ١٧٧ .

(٨) مقاصد سورة البقرة د/ عبد المالك بن أحمد رمضاني : ٢٤/١ .

(٩) البقرة : ١٩٤.

نصت بلفظها على أن الله مع المتقين، ألا وهي قوله تعالى : ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ (١)، وهذه الآية هي الوحيدة من الآيات السابقة جاءت بهذه الصيغة، وقد نزلت في الجهاد كما مرَّ، ولا ريب أن هذه المعيَّة معيَّة خاصَّة، وهي التي فيها حِفظُ الله لأهل التقوى وتأييده ونصره، ولما كان المؤمنون معرضين للعدوان من قبل أهل الباطل، كان لزاماً عليهم أن يعلموا أن انتصارهم لا يكون إلا بالله، وأن الله معهم ما داموا متقين .

ثامنا : اقتران الموعظة بالتقوى :

ﮋ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ (٢).

ذكر الله عز وجل في هذه الآية خبر من لا ينفعه الوعظ؛ لأن محله - الذي هو قلبه - محاط بموانع تحول دون ذلك، والمحل إذا خلا من تقوى الله ثَقُل عليه الحق، بل ربما لم يره إلا باطلاً، فتأخذه حينئذ العزة بالإثم.

وعلى المقابل من ذلك فكثيراً ما تقترن كلمة (الموعظة) بكلمة (التقوى)، منه ما جاء في السورة نفسها، قال الله عز وجل : ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ (٣)، وفيها أيضاً قوله : ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ (٤)؛ لأن أهل التقوى هم الذين تنفعهم الموعظة.

تاسعا : تطابق أول السورة ووسطها وآخرها على ذكر أصول الإيمان .

معلوم أن تكرار الكلام على شيء يدل على عظم شأنه وأنه من المقاصد الكبيرة لدى المتكلم، وقد جاء الحديث عن أصول العقيدة في سورة البقرة متفرقة ومجتمعة مرات لا تكاد تحصر، حتى في القصص الوارد فيها، على الرغم من أنها سورة مدنية فلم تَخْلُ من الحديث عن أصول التوحيد وما يتبعه، لا سيما أصول الإيمان منها، فقد وردت مجتمعة في آيات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٥) في مجموع الفتاوى (٦) في تفسير أول سورة البقرة : " وَقَدْ ذَكَرَ تَعَالَى هَذِهِ الأصُولَ الْخَمْسَةَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ وَوَسَطِهَا وَآخِرِهَا، فَقَالَ فِي أَوَّلِهَا : ﮋ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ (٧) فَالْإِيمَانُ بِمَا أُنْزِلَ إلَيْهِ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِهِ يَتَضَمَّنُ الْإِيمَانَ

---

(١) البقرة : ١٩٤.

(٢) البقرة : ٢٠٦.

(٣) البقرة : ٦٦ .

(٤) البقرة : ٢٣١.

(٥) هو أحمد بن عبد الحليم، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية : الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق. من مصنفاته : "السياسة الشرعية"، و"الفتاوى"، و"منهاج السنة"، و"الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان"، و"الصارم المسلول على شاتم الرسول" . (معجم الأعلام : ١/١٤٤)

(٦) مجموع الفتاوى : ١٤/ ١٣٤.

٧- البقرة : ٤.

بالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَالـمَلَائِكَةِ (١)، ثُمَّ قَالَ : ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ وَالْإِيمَانُ بِاَللَّهِ يَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ وَفِي الْإِيمَانِ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ فَتَضَمَّنَتْ الْإِيمَانَ بِالْقَوَاعِدِ الْخَمْسِ، وَقَالَ فِي وَسَطِهَا : ﮋ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ(٢) ".

وأمَّا في آخرها فواضح؛ فقد جاءت أصول الإيمان الأربع في قوله : ﮋ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ ، وأما الإيمان بالركن الخامس ـ أي اليوم الآخر ـ وهو المذكور بعد في قوله : ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ.

وقال شيخ الإسلام أيضاً : "وقد ذكرت في مواضع ما اشتملت عليه (سورة البقرة) من تقرير أصول العلم وقواعد الدين، وأن الله افتتحها بذكر كتابه الهادي للمتقين، فوصف حال أهل الهدي ثم الكافرين ثم المنافقين فهذه جملة خبرية، ثم ذكر الجملة الطلبية، فدعا الناس إلي عبادته وحده، ثم ذكر الدلائل علي ذلك من فرش الأرض، وبناء السماء، وإنزال الماء، وإخراج الثمار رزقاً للعباد، ثم قرر الرسالة، وذكر الوعد والوعيد، ثم ذكر مبدأ النبوة والهدي وما بثه في العالم من الخلق والأمر ... إلي أن قال : ـ كل هذا من تقرير أصول الدين من الوحدانية والرسالة " (٣).

قلت : ومن أعظم أصول الدين التوحيد والإيمان وذكر أصوله وثمراته فالسورة تدور علي هذه الأصول، ومن أعظم أصوله الإيمان باليوم الآخر، والبعث والنشور، وأن الله يبعث من في القبور، ففي هذه السورة المجيدة تقرير أصول الدين من ذكر شرائع الإسلام والإيمان، وتقرير النبوة والرسالة، وأن الله استخلف آدم وذريته، ثم استخلف بني إسرائيل خاصة ومكن لهم وأعطاهم بينات من الأمر، والسورة بدأت بتقرير الإيمان كما ختمت به قال تَعَالَى في مطلع السورة : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ.(٤)

وختمها بقوله عز وجل : ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﮊ.(٥)

عاشرا : حكمة ختم السورة بدعاء :

---

(١) وذلك لأن ذكر الإنزال يدل على الكتاب المنزل، وعلى الملك الذي نزل به، كما يدل على الرسول المنزل عليه، وقد ذكر الله هذه الثلاثة مسرودة في سورة واحدة، ألا وهي سورة الشعراء (١٩٢ - ١٩٤) فقال ـ عز وجل ـ : {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤)}، فكان هذا اللفظ متضمنا للإيمان بالملائكة والكتب والرسل.

٢- البقرة : ١٧٧.

٣- مجموع الفتاوى : ١٤ / ١٤.

٤- البقرة : ١- ٥.

٥- البقرة : ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

آخر جملة ختمت بها سورة البقرة دعاء، وآخر ما جاء في الدعاء قول الداعين : ﮋ   ﮊ ، وفي هذا الدعاء أمران : الأول : أن الله مولى هؤلاء الداعين.الثاني : الدعاء بالنصر على الكافرين.

ولا ريب أن من تولى الله تولاه الله، وقد سبق التنبيه أن هؤلاء تولوا ربهم بالتقوى المتمثلة في الإخلاص والمتابعة في أهل ولايته، ومن كان كذلك لم يسقط له داء ولم يتخلف عنه نصر على الأعداء [١].

---

(١) " مجموع الفتاوى" لابن تيمية (١٤/ ٣٣) : " ولهذا قيل : إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد وعن كمال الطاعة؛ لأنه عَقَّبَ آية الدعاء بقوله : {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي}.

المبحث الثالث

القصص الخمس لإحياء الموتى

وبعض الفوائد والعبر منها

القصة الأولي : قوله تَعَالَى : ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ(١).

القصة الثانية : قوله تَعَالَى : ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ. (٢)

القصة الثالثة : قوله تَعَالَى : ﮋ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ.(٣)

القصة الرابعة : قوله تَعَالَى : ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ. (٤)

القصة الخامسة : قوله تَعَالَى : ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ. (٥)

وسوف أتحدث عن كل قصةٍ على حِدَةٍ، وأُبيّن بعض ما فيها من الفوائد والعبر من خلال مقاصد سورة البقرة، فسورة البقرة سنام القرآن، والقرآن حياة القلوب كما قال عز وجل : ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﮊ(٦)، وقد بين عز وجل في مطلع السورة عند قوله تَعَالَى : ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ

١- البقرة : ٥٥ /٥٦.

٢- البقرة : الآيات ٦٧- ٧٤.

٣- البقرة : ٢٤٣.

٤- البقرة : ٢٥٩.

٥- البقرة : ٢٦٠.

٦- الأنفال : ٢٤.

ۋۅ ې ې ۉ ۉ ﯦ ﯦ ﯧ ﯧ ﯨ.(١)

وإحياء الموتى هو البعث بعد الموت، وهو عام، وذكر الله عز وجل حياة الشهداء بعد القتل في سبيله، وابتغاء مرضاته، فقال تبارك وتعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ(٢) وهذه حياة خاصة مستمرة إلى يوم القيامة .

وذكر تبارك وتعالى عند قوله : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ (٣) دليلاً على البعث والحياة الأخروية بإحياء الأرض بعد موتها إذا نزل عليها الماء من السماء .

وذكر جل ذكره حياة خامسة، وهي الحياة بسبب إقامة الحدود قال تعالى :

ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ.(٤)

المطلب الأول

القصة الأولى : صعق الأحياء ثم بعثهم بمشاهدة إخوانهم

يقول تعالى : ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ (٥) الخطاب في هذه الآيات الكريمات لبني إسرائيل، وقد أنعم الله تعالى عليهم بهذه النعمة العظيمة، بعد شناعة جريمتهم وسفاهة قولهم : ﭽ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ (نرى) بمعني : ـ نبصر، ولهذا لم تنصب إلا مفعولا واحداً، لأنها رؤية بصرية (٦) أي : ـ ارفع الساتر بيننا وبينه – أي رب العالمين ـ واكشف الغطاء دوننا ودونه حتى ننظر إليه بأبصارنا (٧) .

وفي هذا دلالة على عُتُوِّ وجبروت بني إسرائيل، فقد قالوا هذه المقولة المنكرة بعد توبة الله عليهم، وهكذا كان بنو إسرائيل يتمردون ويعاندون موسى عليه السلام، وكان سوط عذاب الله يصب عليهم (٨) .

وهذا من الأذى الذي تعرض له كليم الله موسى عليه السلام، وفي هذا يقول الرسول ﷺ : ((رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فَصَبَرَ))، من حديث ابن مسعود ﷺ . (٩)

وهل كانت هذه الصاعقة والموت لجميع قوم موسى، أو للسبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام ؟ الذي يظهر لي : أن الصعق والموت والهلاك أصاب

١- البقرة : ٢٨.

٢- البقرة : ١٥٤.

٣- البقرة : ١٦٤.

٤- البقرة : ١٧٩.

٥- البقرة : ٥٥ – ٥٦.

٦- تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين ١٩١/١.

٧- تفسير الطبري ٦٨٧/١ .

٨- تفسير المنار ١/ ٢٦٤.

٩- رواه البخاري : بَاب إذا كَانُوا أَكْثَرَ من ثَلَاثَةٍ فلا بَأْسَ بِالْمُسَارَّةِ وَالْمُنَاجَاةِ، رقم ٥٩٣٣.

السبعين الذين اختارهم كليم الله موسى عليه السلام، ولهذا قال تعالى في سورة الأعراف بعد عبادة العجل وردتهم وما تلي ذلك : ﴿ۈ ۉ ۉ ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ﴾.(١)

والآيات في سورة البقرة والأعراف يفسر بعضها بعضا، فبعد توبة الله عليهم، اختار موسى عليه السلام من خيارهم سبعين رجلا لميقات الله، وذهب بهم ولما صار يكلم الله عز وجل ويكلمه الله جل وعلا قالوا : " ﴿ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮪ ﮫ﴾ فأخذتهم الرجفة والصاعقة والموت والهلاك، ولهذا قال عليه السلام : ﴿ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ﴾ أي : أن الله أهلكهم، ثم بعثهم بعد موتهم، وأما قوله تعالى : ﴿ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ﴾ فإن الأمة بمنزلة النفس الواحدة ولهذا قال تعالى قبلها : ﴿گ گ﴾ أي : بعضكم يقتل بعضاً، ومثله قوله تَعَالَى : ﴿ی ی﴾ (٢) أي : لا يلمز بعضكم بعضاً. (٣)

قوله تَعَالَى : ﴿ۋ ۅ ۅ﴾ أي : نعمته بالإحياء بعد الموت (٤)، و(لعل) للتعليل المفيد للحكمة وما فعل بكم من البعث بعد الموت، نعمة عظيمة وآية باهرة لتراجعوا التوبة من عظيم ذنبكم (٥) والشكر هو القيام بطاعة المنعم إقراراً بالقلب واعترافاً باللسان وعملاً بالأركان (٦) أي فيه مقابلة للنعمة وعليه قول الشاعر :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا (٧)

من الفوائد والعبر في هذه القصة :

أولا : بيان قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت .

ثانيا : وأنه على كل شيء قدير .

ثالثا : وأن الله يبعث من في القبور، وهذه من الآيات العظام التي امتن الله بها على بني إسرائيل وعاينوها ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو﴾ (٨)، ولهذا طلب منهم الشكر على هذه النعمة العظيمة فقال عز وجل : (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

المطلب الثاني

القصة الثانية : معاينة إحياء الميت بضربه ببعض ميت

يقول الله تعالى : ﴿ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮪ﴾

١- الأعراف : ١٥٦.

٢- الحجرات : من الآية ١١.

٣- تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين ١/١٨٩.

٤- البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٣٧٣.

٥- جامع البيان ١/٦٩٢.

٦- تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين ١ / ١٩٤.

٧- ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٩٥.

٨-البقرة : ٤٧.

ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ
ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ
ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ
ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ.[1]

أي : اذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شأن البقرة، وبيان القاتل من هو بسببها، وإحياء الله المقتول ونصه علي من قتله منهم [2].

وخلاصة القصة : أن نفسا قتلت من بني إسرائيل فتدافعوا التهمة فيها ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [3] فتخاصموا إلى كليم الله موسى عليه السلام وترافعوا إليه ليقطع الفتنة والشر، فأمرهم عليه السلام بأن يذبحوا بقرةً، ويضربوا الميت ببعضها فيحيه الله تعالى ويخبر بمن قتله، ولكنهم تعنتوا وتشددوا، فشدد الله عليهم، قال ا بن عباس رضي الله عنهما : " لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم ".[4] قال ابن كثير : إسناده صحيح [5].

وهذه القصة تبين صلف بني إسرائيل وكثرة شكواهم، ولو قيل : ما الحكمة في ذبح البقرة خاصة ؟ فقد يكون الأمر متعلق بعبادة بني إسرائيل للعجل، فأمروا أن يذبحوا بقرة لأنها من جنس العجل ليهون عنده ما كان يرونه من تعظيمه [6]، وهذا المعنى علة في ذبح البقرة [7]، فجادلوا رسولهم وقالوا : ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ [8] فالأنبياء عليهم السلام معصومون من الجهل والسفه ومنه الاستهزاء، والجهل له عدة معان منها : عدم العلم واعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، وفعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل – سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً _ وهذا الأخير هو المراد هنا [9] .

ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ
ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ □ □ □ □ □ □ □ ﭑ ﭒ ﭓ
ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ
ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ، وهذا الطلب لا

١- البقرة : الآيات ٦٧- ٧٤.
٢- تفسير ابن كثير ١/ ٤٣٩.
٣- البقرة : الآية ٧٢.
٤- تفسير الطبري ٢/ ٧٩.
٥- تفسير ابن كثير ١/ ٤٤٥.
٦- النكت والعيون للماوردي ١/١٣٧.
٧- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/١٧٧.
٨- البقرة - ٦٧.
٩- ينظر روح المعاني للألوسي ١/ ٢٨٦.

وجه له إذ أن البيان قد حصل، ولكنه العناد والتنطع ...، فأخبرهم كليم الله موسى عليه السلام فقال : ﮃ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ .... ﮃ أي أن الله عز وجل يقول إنها بقرة لا فارض أي التي قرعها الفحل، ولا بكر أي التي لم تلد ولا قرعها الفحل [٨]، والمعنى (وسط) ليست بالكبيرة المسنة ولا البكر الصغيرة، ولم يكتفوا بذلك بل غالوا في الجدال والمراء ﮃﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰﯱ... ﮃ فأجابهم ﮃ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ □ □ □ □ □ □ □ ﮃ فضاق عليهم الأمر من ثلاثة أوجه، كونها صفراء، وفاقع لونها، وتسر للناظرين. ﮃ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮃ فأخبرهم أنها ليست مذللة بالعمل والحرث وليست ساقية، سليمة من العيوب والعمل، لا شية فيها أي ليس فيها علامة سوى لونها المتقدم [١] قوله تَعَالَى : ﮃﭽ ﭾ ﭿ ﮀﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮃ [٢] ، وهل قصدوا أننا الآن عرفنا أنك لا تستهزئ بنا، وإنما أنت صادق ! أو قصدوا جئت بالبيان التام، كلاهما محتمل، والله أعلم بمراده .

وسياق القصة وسباقها ولحاقها يدل على تعنتهم لا سيما أن الله تعالى صدرها بقولهم (أتتخذنا هزوا) فليس ببعيد حملها على المعنى الأول . (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) هذا إخبار عن تثبطهم في ذبحها وقلة مبادرتهم بما أمر الله تعالى، وقال الإمام القرطبي [٣] رحمه الله : لغلاء ثمنها وقيل خوفا من الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل منهم . قاله "وهب بن منبه" [٤] . [٥]

قوله : "ﮃ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮃ ﮃ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮃ أي اذكروا يا بني إسرائيل ما فعل أسلافكم فالأمة كالجسد الواحد وما فعله الأول يلحق بالآخر ولا يعنينا من القاتل والمقتول وسبب القتل ؟ وإن كانت الكتب السابقة ذكرت قصصا لم تثبت بالكتاب ولا السنة المطهرة، فأعراضنا عنها لأنها من جنس الإسرائيليات التي لا تكذب ولا تصدق وليس في تطويل هذا البحث بها كبير فائدة والله أعلم.

قوله تعالى : ﮃ ﮇ ﮈﮉ ﮃ ﮃ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮃ أي تدافعتم هذه التهمة فيما بينكم كل يرميها على خصمه، فالله مخرج الذي كتمتم من أمر هذا القتيل بهذه الآية

١- تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين١ / ٢٦٣، وانظر تفسير السعدي بتصرف صـ٤٢.

٢- البقرة : ٧١.

٣- هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري : من كبار المفسرين. صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها. من كتبه " الجامع لأحكام القرآن"، و"الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"، و"التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة" . (معجم الأعلام : ٣٢٢/٥)

٤- هو وهب بن منبه الصنعاني : مؤرخ، كثير الإخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولاسيما الإسرائيليات. يعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن. ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها. (معجم الأعلام : ١٢٥/٨)

٥- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٩٣.

العظيمة. [١]

قوله تعالى : ﭽ ژ ژ ڑ ﭼ أوحى الله عز وجل إلى رسوله وكليمه موسى عليه السلام بهذا ﭽ ژ ژ ڑ ﭼ وهذه الآية الباهرة من أعظم المعجزات فقد أمر الحق تبارك وتعالى أن يضرب ميت بميت فتكون الحياة للقتيل فيتكلم ويخبر بمن قتله، فسبحان الذي قال : ﭽ ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ﭼ.[٢]

قال ابن العربي : المعجزة كانت في إحيائه فلما صار حيا كان كلامه كسائر كلام الناس في القبول والرد [٣]، والظاهر خلافه أي أن خبر الميت ملزم بل نقل الإجماع على هذا ابن عبد البر في الاستذكار فقال : أجمع العلماء على أن قول المقتول عند موته : دمي عند فلان، لو قال حينئذ، وعليه مع هذا، أو على غيره درهم فما فوقه لم يقبل قوله في الدرهم. [٤]

قوله تعالى : ﭽ ک ک ک گ گ گ گ گ ﮒ ﭼ إشارة إلى حياة القتيل واستدلال بها على الإحياء للبعث وقبله محذوف لا بد منه؛ تقديره ففعلوا ذلك فقام القتيل [٥]، وهذا الإحياء علي الله يسير، بل إحياء كل الخلق بعد موتهم بكلمة واحدة على الله يسير، قال تعالى : ﭽ ﭺ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ [٦] وقال تعالى : ﭽ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﭼ.[٧]

قوله تعالى : (وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ) هذه الآية العظيمة جامعة للآيات الكونية والشرعية، كونية لأنها إحياء ميت عند ضربه بجزء من ميت آخر، وشرعية لأنها أمر شرعي على لسان نبي من أنبياء الله . قوله : (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) لكي تعقلوا، فتمتنعون عن عصيانه [٨]، وتنزجرون عن ما يضركم [٩] والعقل ما يحجز الإنسان عن فعل ما لا ينبغي، وهو خلاف الذكاء، لأن الذكاء سرعة البديهة والفهم، وقد يكون الإنسان ذكيا ولكنه ليس بعاقل .[١٠]

وهذه القصة العظيمة لا شك أنها من القصص الحق الذي هو أحسن القصص، قال تَعَالَى : ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ. [١١]

١- تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين ١/ ٢٣٩.

٢ - يس : ٨٢ .

٣- أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٥.

٤- الاستذكار لابن عبد البر ٢٥/ ٣٢٦.

٥- التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن جزي الكلبي ١/ ٧٠.

٦- يس : ٥٣.

٧- لقمان : ٢٨.

٨- تفسير البغوي ١/ ٥١، الجامع للقرطبي ٢/ ٢٠٤.

٩- تفسير ابن عثيمين ١/ ٢٤٠ .

١٠- تفسير السعدي صـ٤٢.

١١- يوسف : ٣.

من الفوائد والعبر في هذه القصة :

أولا : فمن وجوه الاعتبار أن التنطع في الدين والتفيهق في السؤال، يقتضي التشديد في الأحكام فَمَنْ شَدَّدَ شَدّدَ اللهُ عليه، ولهذا نهى الله تعالى هذه الأمة عن كثرة السؤال [١] بدليل قوله تَعَالَى : ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﮊ [٢]

ثانيا : هذه الواقعة والحادثة من قصص بني اسرائيل مليئة بالفوائد والحكم التي لا يدركها إلا من نوّر الله بصيرته، أعظمها ولبها إحياء الموتى دلاله على أن الله قدير، ودلالة على البعث والنشور نسأل الله الحي القيوم، أن يحيي قلوبنا بالإيمان وأن يملئها بحبه وحب رسوله ﷺ .

ثالثا : أن الله تعالى لا يأمر إلا بالحق والعدل والحكمة والرحمة، قال تَعَالَى : ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ [٣] وكان هذا واضحاً في دفع التهمة عن المظلومين، ونطق الميت وبيانه لمن قام بقتله.

رابعا : أن هذا الدين يسر، ولن يشاد أحد هذا الدين إلا غلبه، ولهذا في الحديث الصحيح قال ﷺ : ((إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)) (٤) فبنو إسرائيل شددوا فشدد الله عليهم .

١- تفسير المنار ١/ ٢٨٢.

٢- المائدة : ١٠١.

٣- النحل : ٩٠.

٤- رواه البخاري : بَاب الدِّينُ يُسْرٌ وَقَوْلُ النبي ﷺ أَحَبُّ الدِّينِ إلى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ، رقم ٣٩.

المطلب الثالث

القصة الثالثة : الذين خرجوا من ديارهم خوفا من الوباء والموت فأماتهم الله ثم أحياهم

قال تبارك وتعالى : ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﮊ. [١]

يخبر الله تعالى عن قوم ممن سبق من بني إسرائيل أو من غيرهم، والخطاب للنبي ﷺ وأمته تبع له، والاستفهام الداخل على النفي يراد به التعجب [٢].

قال السمين الحلبي : وكذا كل استفهام دخل على نفي نحو قوله : ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ [٣]، وقوله : ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ . [٤] [٥]

قوله تعالى : ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮊ والرؤية هنا رؤية بصيرة لا بصر، أي معنوية ليس الجارحة الحسية، ﮋ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮊ أهل هذه الديار التي لا نعلمها فهم ألوف كثيرة، وسبب خروجهم، الخوف من الموت بسبب وباءً عمَّ أو غيره من المهلكات، ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ أحياهم بعد موتهم بدعوة نبي أو بغير ذلك رحمة بهم ولطفاً وحلماً وبياناً لآياته لخلقه بإحياء الموتى ..[٦]

قوله تعالى : ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ أي : فيما يريهم من الآيات الباهرة والحجج القاطعة الدامغة ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ أي : لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم [٧]، فمن أعظم الفوائد في هذه القصة العظيمة، عظيم قدرة الله عز وجل وذلك بإماتته الأحياء وإحياء الأموات وأن ذلك من أعظم الآيات والنعم التي تحتاج إلي تفكر وشكر، ولذا ختم الآية بقوله تَعَالَى : ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ.

ومن الفوائد والعبر في هذه القصة :

أولا : أنه لا مفر من قدر الله عز وجل وكما قال السلف : لا يغني حذر من قدر.

ثانيا : وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فهؤلاء خرجوا فراراً من الوباء طلبا لطول الحياة، فعوملوا بنقيض قصدهم [٨]

١- البقرة : ٢٤٣.
٢- الدر المصون للسمين الحلبي ٥٩٢/١.
٣- الشرح : ١.
٤- الزمر : ٣٦.
٥- الدر المصون ١/ ٥٩٢، تفسير القرآن الكريم، لابن عثيمين ٢/ ١٩٤.
٦- تفسير السعدي صـ٩٨.
٧- تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٩.
٨- تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٩.

ثالثا : ويفيد قوله تعالى : ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ مدح الله تعالى لذاته العلية وهو أهل الثناء والمدح، ولهذا قال رسول الله ﷺ : ((لا أحد أحب إليه المدح من الله)). (١)

رابعا : ويحسن التنبيه على أن الطاعون وهو الوباء الذي فر منه هؤلاء على قول الكثير، كان عذاباً عذب الله به من قبلنا من الأمم، وجعله الله رحمة في هذه الأمة المرحومة، ولذا فإن الطاعون شهادة، والمطعون شهيد (٢) وقال ﷺ : ((إن هذا السقم عذب به الأمم فإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه)) (٣) والوباء فتنة عظيمة، ولهذا قال ابن مسعود ﷺ : الطاعون فتنة علي المقيم والفار، أما الفار فيقول : بفراري نجوت، وأما المقيم فيقول : أقمت فمت، وكذباً، بل فيه إعجاز علمي لم يفطن له المتخصصون إلا في هذه الأزمان، وليس هذا محل التفصيل فيه. فرَّ من لم يجيء أجله، وأقام من جاء أجله (٤). والبيان النبوي والتوجيه الشرعي حكم حكيم وشرع قويم .

١- رواه البخاري : كتاب تفسير القرآن باب قول الله عز وجل (قل إنما حرم ربي الفواحش)، رقم ٤٦٧٣.

٢- رواه البخاري من حديث أبي هريرة ، رقم ٥٧٣٣ .

٣- رواه البخاري : كتاب الطيب، رقم ٥٧٣٠.

٤- التمهيد لابن عبد البر ٨/ ٣٧٢.

المطلب الرابع

القصة الرابعة : معاينة الموت والبعث للبلاد والعباد

قال عز وجل : ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﮊ هذه الآية مسوقة على الآية قبلها ".[1] ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ .....ﮊ والتقدير : ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه، وهل رأيت الذي مر علي قرية ؟.[2]

ومن هو المار ؟ وما هي القرية ؟ كل ذلك لم يبين في النص الكريم، ولو شاء الله تعالى لَبَيَّنَهُ.

وقد اختلف المفسرون في تعيين هذه القرية والمار بها على أقوال، فقيل القرية، بيت المقدس، وقيل دير سابر آباد، وقيل مسلم آباد، وقيل دير هرقل، وقيل هي الأرض التي أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقد مضت ، وقيل هي قرية العنب على فرسخين من بيت المقدس، والمار قيل : هو عزير، وقيل أرميا، وهو الخضر عليه السلام، وقيل رجل كافر شاك .[3]

وهذا اختلاف لا طائل تحته، إذ لم يثبت فيه شيء عن معصوم، والمقصود العبرة بما في هذه القصة، لا تعيين الرجل ولا القرية، ومثل هذا الذي يأتي مبهما ولم يعين عن معصوم،طريقنا فيه أن نبهمه كما أبهمه الله عز وجل [4] ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ .....ﮊ أي قد أباد الله أهلها ومن فيها فبيوتها ساقطة على أصولها، بل هي موحشة مقفرة، ﮋ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ أي كيف أو متى، والسياق القرآني يؤيد أن (أَنَّىَ) اسم استفهام بمعني كيف للاستبعاد، وبعضهم قال (أَنَّىَ) اسم استفهام بمعني متى للاستعجال والتمني .[5]

ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ استقصاراً لتلك المدة التي مات فيها لكونه زالت معرفته وحواسه، وكان عهد حاله قبل موته فقيل له : ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ أي لم يتغير بل بقي على حاله على تطاول السنين، واختلاف الأوقات عليه [6]،ﮋ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ وكان قد مات وانتثرت عظامه، تلوح للناظرين بلا لحم ولا عصب، ﮋ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ أي دليلا على البعث بعد الموت .[7]

وهذا من أعظم فوائد هذه القصة العظيمة، وبيان قدرة الله جل وعلا، ﮋ ﯤ ﯥ

١- البقرة : ٢٥٩.

٢- تفسير البغوي ١/ ١٨٣.

٣- المصدر السابق ١/ ١٨٣.

٤- تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين ٢/ ٢٨٨.

٥- الدر المصون بتصرف ١/٦٢٤، وتفسير ابن عثيمين ٢/ ٢٨١.

٦- تفسير ابن سعدي صــ١٠٤.

٧- الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٣٠٤.

ئۆ ئۆ ئې ئې ئې ئىئى ﮊ وفي قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (ننشرها) [١] وبالزاي أي : نرفعها فيركب بعضها علي بعض،من النشر وهو الإرتفاع وبالراء(ننشرها) أي نحييها قاله مجاهد [٢] بسند صحيح

قوله تعالى : ﮋ ﯜ ﯝ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ أي أنا عالم بهذا وقد رأيته عيانا فأنا أعلم أهل زماني بذلك [٣] وقرأ الأخوان حمزة والكسائي(قَالَ اعْلَمْ) [٤] على أنه أمر له بالعلم، والجمع والفائدة من القرائتين، كأنه أمر أن يعلم فعلم وأقر، والعلم هو إدراك الشيء إدراكاً جازماً مطابقاً لما هو عليه، وعدم الإدراك هو الجهل البسيط، وإدراك الشيء علي غير ما هو عليه هو الجهل المركب، وعدم الجزم شك أو ظن أو وهم فإن تساوي الأمران فهو شك وإن ترجح أحدهما علي فالراجح ظن والمرجوح وهم .[٥]

١- التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني بتحقيقنا في رسالة علمية صـ٣١٧.

٢- تفسير ابن كثير ٢/٢٥٧ .

٣- السابق ٢/ ٢٥٧.

٤- التيسير في القراءات السبع ص٣١٧.

٥- تفسير ابن عثيمين ٢/ ٢٩٢.

ومن الفوائد والعبر في هذه القصة :

أولا : أن الله يحي الأرض بعد موتها وأنه يبعث من في القبور، فهذه القرية الخاوية فلا مساكن ولا ساكن، أحياها الله عز وجل فهو على كل شيء قدير . قال تعالى : ﴿ ... ﴾(١)

ثانيا : ومن الفوائد قوله تَعَالَى : (فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ)،(وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ)، (وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ) كل هذا نظر اعتبار وادكار ليزداد بذلك اليقين ولينتقل العبد من علم اليقين إلي عين اليقين .

ثالثا : ومن الفوائد في قوله تعالى : (وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ) أي علامة لهم، دلالة علي قدرته جل وعلا علي البعث، كما قال عز وجل عن رسوله عيسى عليه السلام وأمه البتول الطاهرة مريم عليها السلام قال تعالى في حقها : ﴿ ... ﴾.(٢)

رابعا : هذه القصة دليل واقع وعبرة وعظة على إحياء الموتى، ففيها بيان عموم قدرة الله جل وعلا وأنه على كل شيء قدير، فقد أحيا القرية والرجل والحمار بعد موتهم، وهذه الفائدة هي الثمرة العظيمة لهذه الواقعة . والله أعلم .

خامساً : ومن فوائدها، أن هذه الواقعة للعبد الصالح كرامة من الله له، وكرامات الأولياء أمر ثابت، و(الكرامة) كل أمر خارق للعادة يجريه الله عز وجل علي يد أحد أوليائه تكريما له بصدق الشريعة التي كان عليها، والولي لكل مؤمن تقي لقوله تَعَالَى : ﴿ ... ﴾.(٣) (٤)

المطلب الخامس

القصة الخامسة : معاينة إبراهيم ﷺ لإحياء الموتى ممثلاً في طيور مختلطة الأجزاء

قال الله تَعَالَى : ﴿ ... ﴾ (٥)، هذه القصة، والسؤال لأبي الأنبياء وإمام الحنفاء وخليل الرحمن إبراهيم ﷺ جرت لأنه أحبَّ أن يترقى من عِلم اليقين إلى عين اليقين بذلك،وأن يرى ذلك أي : (إحياء الموتى) مشاهدة فقال : ﴿ ... ﴾ (٦).

واليقين له ثلاث مراتب : علم، وعين، وحق، فقد ذكر الله عز وجل الأولى والثانية في سورة التكاثر، قال تعالى : ﴿ ... ﴾

١- فاطر : ٤٤.

٢- الأنبياء : ٩١.

٣- يونس : ٦٢-٦٣.

٤- تفسير ابن عثيمين٢/ ٢٩٧.

٥- البقرة : ٢٦٠.

٦- تفسير ابن كثير ٢/٢٥٧.

ﮬ ﮯ ﯛ.[1]

الأولى في قوله تَعَالَى : ﯚ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﯛ والثانية في قوله تَعَالَى : ﯚ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯛ ، والثالثة في قوله تَعَالَى : ﯚ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯛ[2]، لهذا كان سؤاله عليه السلام ليرى ويعاين مع إيمانه التام ولهذا قال تَعَالَى : ﯚ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﯛ فلم يكن سؤاله شكاً وحاشاه عليه السلام، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال : ((نحن أحق بالشك من إبراهيم)) .[3]

فإذا كان الشك منتف عن النبي ﷺ فهو في حق إبراهيم عليه السلام أشد انتفاءً.

قال تَعَالَى : ﯚ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﯛ أبهم الله عز وجل هذه الطيور، وليس هناك كبير فائدة في معرفتها، ولو كان فيه فائدة لبيَّنه عز وجل، فأخذ إبراهيم عليه السلام أربعة من الطير، فقطعها وخلط أجزاءها، ثم وزعها علي رؤوس الجبال [4] ورؤوسها معه، قوله عز وجل : ﯚ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﯛ فلما دعاهنَّ كما أمره الله عزَّ وجل، جعل ينظر إلي الريش يطير إلى الريش، والدم إلى الدم، واللحم إلى اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها ببعض، حتى قام كل طائر على حده وأتينه يمشين سعيا؛ ليكون أبلغ في الرؤية التي سألها .

وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم عليه السلام، فإذا قدم له غير رأسه يأباه، فإذا قدم إليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوَّته ولهذا قال : ﯚ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﯛ أي عزيز لا يغلبه شيء، ولا يمتنع من شيء، وما شاء كان بلا ممانع لأنه العظيم القاهر لكل شيء، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره [5].

من الفوائد والعبر في هذه القصة :

أولا : من أعظم فوائد هذه القصة : إحياء الله تَعَالَى للموتى، وأنه على كل شيء قدير، وهذه الفائدة قطب الرحى للقصص الخمس، فالله عز وجل المحيي المميت، العزيز الحكيم.

ثانيا : ومن فوائد هذه القصة : أن رؤية الآيات تزيد في الإيمان لقوله تَعَالَى : ﯚ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﯛ والإيمان يزيد بالطاعات ورؤية الآيات، وينقص بالمعاصي والآثام، كما هو معلوم في معتقد أهل السُّنة والسَّلف الصالح [6] .

والله وَلِيُّ التوفيق

١- التكاثر كاملة .

٢- الواقعة : ٩٥ .

٣- رواه البخاري : كتاب الأنبياء باب قوله تَعَالَى : (ونبئهم عن ضيف إبراهيم)، رقم ٣٣٧٢ .

٤ - التسهيل لابن جزي بتصرف ١٢٤/١.

٥ - تفسير ابن كثير ٢٥٨/٢.

٦- ينظر العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ص١٨٦.

خاتمة البحث

وبعدَ النَّظر في سورةِ البقرة نظرةً عامةً - وفي هذه القَصص الخمس نظرة خاصةً - يتجلَّى لطالب العِلم عِظمُ قَدْرِ هذه السُّورة، وما فيها من الحِكَم والأحكامِ، وَلِذَا استحقَّ مَن يحفظُهَا أن يُسمَّى (حَبْرَاً). ولهذا خصَّ رسولُ الله ﷺ حَفَظَتَهَا بالذِّكر في دعوته لجهاد العدوّ في غزوةِ حُنين، فَقَالَ : ((يَا أَصْحَابَ سُورَةِ البَقَرَةِ)) [١]، وأعني الحفظ مع الفهم، والعمل؛ فـ (العملُ) مصداقُ العلم، ولهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : ((هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل)). [٢]

والفَهْمُ يقتضي معرفةَ تفسيرِها، وما فيها من الحِكم والأحكام، مرفوعاً إلى النبي ﷺ وخلفائه الراشدين الأئمة المهديين.

وقد جمع الله في هذه السورة أصولَ الإسلام وفروعه، فقد ورد فيها ذكر العقائد، والأحكام، والقصص، وهذه القصص الخمس اشتملت على آيات عظيمة ، ومعجزات باهرة تدل على عِظم الخالق جل وعلا، وأن إعادة الخَلق أهون عليه. كما قال عز وجل : ﴿ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄڄ ﴾[٣]، وقال تعالى : ﴿ گ گ گ گ گ گ گگ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ﴾.[٤]

وأسأل الله الحي القيوم أن يغفر لنا ولوالدينا، وأن يوفِّقنا للعلم النافع، والعمل الصالح، والحمد لله رب العالمين.

* * *

١- رواه مسلم : كتاب الجهاد والسير ، رقم ١٧٧٥.

٢- اقتضاء العلم العمل. أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المكتب الإسلامي - بيروت – ١٣٩٧هـ، الطبعة الرابعة، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، ص ٣٦.

٣- الروم : من الآية ٢٧

٤- العنكبوت : ١٩ ، ٢٠ .

فهرس المراجع والمصادر

القرآن الكريم.
١- إتقان البرهان في علوم القرآن، عباس فضل حسن، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٢- الإتقان في علوم القرآن السيوطي جلال الدين طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ ١٩٩٥ م.
٣- أحكام القرآن : لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥هـ
٤- الإصابة في تمييز الصحابة أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعة دار الجيل بيروت، طبعة أولى ١٤١٢هـ، تحقيق/ علي بن محمد البيجاوي .
٥- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن . للشنقيطي.
٦- اقتضاء العلم العمل. للبغدادي، المكتب الإسلامي - بيروت – ١٣٩٧هـ، الطبعة الرابعة، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني
٧- البرهان في توجيه المتشابه . للكرماني.
٨- البرهان في علوم القرآن. محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي. دار المعرفة - بيروت – ١٣٩١هـ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم.
٩- البيان في عد آي القرآن، الداني، أبو عمرو تحقيق الدكتور غانم قدوري حمد، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
١٠- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها. أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله. دار الفكر - بيروت – ١٩٩٥م، تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري .
١١- تجديد المنهج في تقويم التراث عبدالرحمن طه بيروت –لبنان ، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، ط ١ ، ١٩٩٤م
١٢- تحفة الأحوذي المباركفوري، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن، بشرح جامع الترمذي : المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
١٣- التسهيل لعلوم التنزيل. لمحمد بن جزي الكلبي.
١٤- تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل آي القرآن " : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، طبعة دار الجيل بيروت.
١٥- تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، طبعة مكتبة الإيمان، المنصورة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م
١٦- تفسير القرآن الكريم. لابن عثيمين . ط مؤسسة الشيخ محمد بن عثيمين الخيرية.
١٧- تفسير القرآن، للسمعاني، دار الوطن – الرياض، سنة ١٤١٨هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم.
١٨- التفسير الكبير. فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي. دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ الطبعة الأولى .

١٩- تفسير المنار . محمد رشيد رضا.
٢٠- التفسير الموضوعي، بين النظرية والتطبيق، الخالدي، صلاح عبد الفتاح، دار النفائس، عمان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢١- تهذيب الكمال : يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق د/ بشار عواد معروف، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت، طبعة أولى لسنة ١٤٠٠هـ .
٢٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. للشيخ عبد الرحمن بن سعدي.
٢٣- التيسير في القراءات السبع ، للداني، تحقيق د/ خلف الشغدلي، رسالة علمية.
٢٤- الجامع الصحيح " سنن الترمذي" : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون .
٢٥- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
٢٦- خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم الدريني محمد فتحي، بيروت-لبنان ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م .
٢٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود الألوسي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٢٨- زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، طبعة المكتب الإسلامي بيروت، طبعة ثالثة لسنة ١٤٠٤هـ
٢٩- سنن ابن ماجه. محمد بن يزيد، أبو عبد الله القزويني، دار الفكر، بيروت. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٠- سنن أبي داود. سليمان بن الأشعث، أبو داود السجستاني، دار الفكر، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.
٣١- سير أعلام النبلاء الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، حقق بإشراف، شعيب الأرناؤوط.
٣٢- السيرة النبوية الصحيحة العمري أكرم ضياء، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ٥، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٣٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، دار بن كثير - دمشق - ١٤٠٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط.
٣٤- شرح السنة، البغوي، الحسين بن مسعود، تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م.
٣٥- شرح صحيح مسلم، النووي،، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م .
٣٦- شعب الإيمان. أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤١٠هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.
٣٧- صحيح البخاري" محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، طبعة دار

بن كثير اليمامة بيروت، طبعة ثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، تحقيق د/ مصطفي ديب البغا .
٣٨- صحيح مسلم" مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي .
٣٩- طبقات الحفاظ. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. دار الكتب العلمية - بيروت – ١٤٠٣هـ.
٤٠- العقيدة الواسطية. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء - الرياض - ١٤١٢هـ، الطبعة : الثانية، تحقيق : محمد بن عبد العزيز بم مانع.
٤١- قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي الكيلاني عبدالرحمن إبراهيم، دمشق-سوريا ، دار الفكر ، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٠ م .
٤٢- لسان العرب ابن منظور الإفريقي،أبو الفضل جمال الدين بن محمد، : دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٤٣- مجلة الجامعة الإسلامية ، عدد ٥٠ / ٥١ .
٤٤- محاسن التأويل : لمحمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، طبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة، ١٣٧٦هـ١٩٥٧م.
٤٥- مختار الصحاح الرازي، محمد ابن أبي بكر،، دار عمار، عمان، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
٤٦- المستدرك على الصحيحين. محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ = ١٩٩٠م، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا.
٤٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل. أحمد بن حنبل الشيباني. مؤسسة قرطبة، مصر
٤٨- المصباح المنير، للرافعي ، بيروت - لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط ١، ١٩٩٤ م
٤٩- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٠- مقاصد الشريعة أساس لحقوق الإنسان محمد الزحيلي ،كتاب الأمة ، قطر ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، العدد ٨٧ ، ١٤٢٣ هـ .
٥١- مقاصد الشريعة الإسلامية ، تونس ، الشركة التونيسية ، ١٩٧٨ م ، ابن عاشور ، تحقيق و دراسة محمد الطاهر الميساوي ، عمان-الأردن ، دار النفائس ، ط ٢ ، ٢٠٠١ م .
٥٢- مقاصد الشريعة ومكارمها علال الفاسي ، مكتبة الواحدة العربية والدار البيضاء ، د.ط ، د.ت
٥٣- المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي الدريني محمد فتحي، بيروت-لبنان ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، ١٩٩٧ م .

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة